الآفة الأربعون
الشماتة

والآفة الأربعون التى يبتلى بها نفر من العاملين، وتكاد تعصف بالوحدة التى هى أساس التمكين لمنهج الله فى الأرض إنما هى : « الشماتة » وحتى يتخلص من هذه الآفة من ابتلى بها ويتوقاها من سلمه الله عز وجل منها فإنه لابد من الوقوف على أبعادها ومعالمها من خلال هذه الجوانب :

الجانب الأول : تعريف الشماتة لغة واصطلاحًا :

لغة : الشماتة فى اللغة هى :

١ ـ الفرح ببلية أو مصيبة العدو، تقول : شمت به، أو بعدوه شماتة : فرح بمكروه أصابه ، أو ببلية العدوِّ . ومنه قوله سبحانه : ﴿ **فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** (١٥٠) ﴾ [الاعراف] .

٢ ـ سوء الحال التى تحمل على الشماتة تقول : وقع فى الشماتة، وبات طوع الشوامت : باءت حاله بحيث يشمت به .

٣ ـ الخيبة تقول : شمته الله : خيبه . ويقال : خرج القوم فى غزاة، فقفلوا : شماتى، ومتشمتين: رجعوا خائبين فلم يغنموا [١] ولا تعارض بين هذه المعانى جميعًا، إذ هى الفرح ببلية العدو ومصيبة من خيبة، وهزيمة، وفاجعة ونحوها .

اصطلاحًا : ذكر العلماء تعاريف عدة للشماتة اصطلاحًا نذكر منها :

١ ـ تعريف الراغب الأصفهانى ، إذ قال : « الشماتة : الفرح بمن تعاديه ، ويعاديك » [٢] .

---

(١) انظر : المفردات للراغب الأصفهانى ص ٢٧٣، ومعجم مقاييس اللغة ٣/ ٢١٠، والصحاح فى اللغة والعلوم ٣/ ٢١٠، لسان العرب ٢/ ٥١، ٥٢ المعجم الوسيط ١/ ٤٩٢، ٤٩٣، الصحاح فى اللغة والعلوم ص ٥٦٨، ٥٦٩ بتصرف كثير .

(٢) انظر : المفردات ص ٢٧٣ .

٢ ـ تعريف القرطبى : « الشماتة : السرور بما يصيب أخاك من المصائب فى الدين والدنيا » (١) .

٣ ـ تعريف المناوى : « الشماتة : الفرح بمصيبة العدو » (٢) .

٤ ـ تعريف الكفوى : « الشماتة : السرور بمكاره الأعداء » (٣) .

٥ ـ تعريف ابن مفلح : « الشماتة هى الفرح ببلية العدو » (٤) .

ورأيى : أن الاختلاف بين هذه التعريفات إنما هو فى الألفاظ فقط أما المؤدَّى فواحد غير أن تعريف القرطبى أكثر بسطًا ، ووضعًا للنقاط على الحروف حيث يوضح أن المصيبة التى يفرح بها تشمل الدين والدنيا معًا .

الجانب الثانى : مظاهر الشماتة، وحكمها، ودليل هذا الحكم :

للشماتة مظاهر تدل عليها نذكر منها :

١ ـ التبريكات ، والنهائى التى غالبًا ما تكون مصحوبة بالولائم ونحوها .

٢ ـ التعريض ، والتلويح والكناية التى غالبًا ما تصحبها النكات .

٣ ـ محاكاة مصائب العدو وبلاياه عن طريق التمثيليات ، والمسرحيات ، والمسلسلات، والكاريكاتير، ونحوها .

والشماتة فى الجملة حرام، لقوله ﷺ : « لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك » (٥) . وقوله ﷺ : « من عيَّر أخاه بذنب، لم يمت حتى يعمله » (٦) .

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٢٩١ .

(٢) انظر : التوقيف ص ٢٠٨ .

(٣) انظر : الكليات ص ٥٠٨ .

(٤) انظر : الآداب الشرعية ١/ ٤٠٨ .

(٥) الحديث أخرجه الترمذى فى : السنن : كتاب صفة القيامة : باب لا تظهر الشماتة ص ٥٧٠ رقم ٢٥٠٦ من حديث واثلة بن الأسقع مرفوعًا وعقب عليه بقوله : « هذا حديث حسن غريب » وأورده المنذرى فى الترغيب والترهيب ٣/ ٣١٠ عازيًا إياه إلى الترمذى ، ووافق على تحسينه .

(٦) الحديث أخرجه الترمذى فى : السنن : كتاب صفة القيامة : باب فى وعيد من عيَّر أخاه بذنب ص ٥٦٩ رقم ٢٥٠٥ من حديث معاذ بن جبل ﷺ مرفوعًا . وعقب عليه بقوله : « هذا حديث حسن غريب ، وليس إسناده بمتصل » وقال عنه محقق الآداب الشرعية ١/ ٤١٢ : « وإسناده منقطع ، وضعيف » .

وكان ﷺ : يتعوذ من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء [١] .

وطلب هارون من أخيه موسى لما أخذ برأسه حين رجع فوجد قومه قد عبدوا العجل من دون الله، ألا يشمت به الأعداء، فقال : ﴿ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١٥٠) ﴾ [الأعراف] .

بيد أن الفرح بنزول المصيبة أو البلية بالعدو المحارب لدين الله المذل لعباده جائز ، من قبيل شفاء صدور قوم مؤمنين ، وذهاب غيظ قلوبهم فقد قال الله عز وجل : ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ (١٤) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ﴾ [التوبة] .

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥) وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ [الروم] .

يقول ابن عطية : « وروى فى قصص هذه الآية، عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره :

أن الكفار لما فرحوا بمكة بغَلَبِ الروم بشر الله تعالى نبيه ﷺ والمؤمنين بأن الروم سيغلبون فى بضع سنين أى من الثلاثة إلى التسعة فلما بشرهم بذلك خرج أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى المسجد فقال لهم: « أسركم أن غلبت الروم؟ فإن نبينا أخبرنا عن الله تعالى أنهم سيغلبون فى بضع سنين» وقال له أبيّ بن خلف وأمية أخوه وقيل: أبو سفيان ابن حرب فقال : يا أبا فصيل يعرضون بكنيته بالبكر فلنتناحب أى : نتراهن فى ذلك فراهنهم أبو بكر قال قتادة : وذلك قبل أن يحرم القمار وجعل الرهان خمس قلائص والأجل : ثلاث سنين فأخبر النبى ﷺ بذلك فقال له : إن البضع إلى التسع ، ولكن ارجع فزدهم فى الرهان واستزدهم فى الأجل، ففعل أبو بكر رضي الله عنه فجعلوا القلائص مائة والأجل تسعة أعوام، فغلبت الروم فى أثناء الأجل فروى عن أبى سعيد الخدرى أن إيقاع الروم بالفرس كان يوم بدر، وروى أن ذلك كان يوم الحديبية، وأن

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الدعوات : باب التعوذ من جهد البلاء ص ١١٠٣ رقم ٦٣٤٧ وكتاب القدر : باب من تعوذ بالله من درك الشقاء وسوء القضاء ص ١١٤٤ رقم ٦٦١٦ ومسلم فى : الصحيح : كتاب الذكر والدعاء : باب فى التعوذ من سوء القضاء، ودرك الشقاء وغيره ص ١١٧٧ رقم ٥٣/ ٢٧٠٧/ ٦٨٧٧ كلاهما من حديث أبى هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

الخبر بذلك وصل يوم بيعة الرضوان روى نحوه عن قتادة وفى كلا اليومين كان نصر من الله تعالى للمؤمنين .

ثم استأنف عطف جملة أخبر فيها أن يوم غلبة الروم للفرس يُفرح المؤمنون بنصر الله . . . »[١] .

وفرح النبى ﷺ ومعه المؤمنون بنصر الله لهم يوم بدر ودحر المشركين وهزيمتهم كما فرحوا بالنصر فى سائر الغزوات لا سيما فى غزوة خيبر وفتح مكة؛ لأنه بسقوط خيبر آخر معقل لليهود فى الجزيرة العربية وفتح مكة استقر الإسلام فى الجزيرة وفتحت الطريق أمام دعوة الإسلام فى كل أنحاء الأرض خارج الجزيرة، وشمت المسلمون بالكافرين؛ لأنهم حادوا الله ورسوله، وظنوا أنه لا غالب لهم فكان عكس ما توقعوا : ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [يوسف : ٢١] .

الجانب الثالث : آثار الشماتة ، وعواقبها :

أ ـ على العاملين :

للشماتة آثار سيئة ، وعواقب خطيرة على العاملين نذكر منها :

١ ـ تعميق العداوة والكراهية :

ذلك أن الشماتة إنما تنشأ من العدواة والكراهية، وحين تقع فإنها تعمق العداوة ، والكراهية لدى المشموت به، وتحمل على تمنى نزول الضر بالشامتين وأن يذوقوا من نفس الكأس الذى شربوا منه » .

٢ ـ تقطيع أواصر الأخوة :

ذلك أن حق الأخ على أخيه : أن يحبَّ له ما يحب لنفسه وأن يبغض له ما يبغض لنفسه إذ يقول النبى ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »[٢] .

---

(١) انظر : المحرر الوجيز ١١/ ٤٢٤ ـ ٤٢٨ باختصار كثير .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الإيمان : باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ص ٥ رقم ١٣، ومسلم فى : الصحيح : كتاب الإيمان: باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير ص ٤١ رقم ٧١، ٧٢/ ١٧٠، ١٧١، والترمذى فى : السنن : كتاب صفة القيامة : باب حديث حنظلة ص ٥٧٢ رقم ٢٥١٥ كلهم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا بهذا اللفظ ، وبنحوه ، وعقب الترمذى على حديثه بقوله : « هذا حديث صحيح » .

ومراعاة هذا الحق تقوى أواصر الأخوة، وتمتنها فإذا ما شمت الأخ : بأخيه لضر نزل به ، أو مصيبة : فقد أتى ما يؤدى إلى تقطيع أواصر الأخوة ، والقضاء عليها ، وهذا فيه من الخطر ما فيه .

٣ ـ تعريض النفس للانتقام الإلهى :

ذلك أن من عواقب الشماتة بالغير تعريض النفس للانتقام الإلهى؛ لأن الشماتة بالغير تعنى تزكية النفس والبناء عليها وأنها سالمة من الخطأ الذى كان سببًا فى نزول المصيبة بالمشموت به غالبًا ، وليس من حق المرء أن يزكى نفسه وأن يثنى عليها لقوله سبحانه : ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النجم] . وقوله سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [النساء].

وحين يزكى المرء نفسه ، ويثنى عليها : يكون العقاب ، والانتقام الإلهى تأكيدًا لمبدأ : « كل ابن آدم خطاء . . » [(١)] .

وقد وقع ذلك فعلاً . إذ قال بعض السلف: « عبت شخصًا قد ذهب بعض أسنانه فذهبت أسناني ونظرت إلى امرأة لا تحل لى فنظرت زوجتى إلى من لا أريد » [(٢)] .

وقال ابن سيرين : « عيرت جلاً بالإفلاس ، فأفلست » [(٣)] .

٤ ـ خسارة احترام الناس وتقديرهم :

ذلك أن الأصل فى الإنسان أنه مخلوق على البراءة الأصلية وأنه محل ثقة الآخرين، واحترامهم فإذا ما ظهر منه الشماتة لما ينزل بالناس من محن وابتلاءات فإن الناس يغيرون نظرتهم إليه معتبرين أنه مريض نفسيًا لا يحب الخير للناس بل يفرح لأتراحهم ويأخذون فى سحب ثقتهم منه وتقديرهم إليه فيضيق الخناق حول عنقه وتتعطل مصالحه وتصير حياته جحيمًا لا يطاق .

---

(١) الحديث أخرجه الترمذى فى : السنن : كتاب صفة القيامة : باب فى استعظام المؤمن ذنوبه ص ٥٦٨، ٥٦٩ رقم ٢٤٩٩ من حديث على بن مسعدة الباهلى عن قتادة عن أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا بلفظ : «كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون » وعقب عليه بقوله : « هذا حديث غريب ، لا نعرفه إلا من حديث علىّ بن مسعدة عن قتادة » وابن ماجه فى : السنن : كتاب الزهد : باب ذكر التوبة ص ٦١٩ رقم ٤٢٥١ من حديث أنس مرفوعًا ، وأورده الحافظ ابن حجر فى : فتح البارى ٣٤٦/٤ وعقب عليه بقوله : « سنده قوى » .

(٢، ٣) انظر : الآداب الشرعية لابن مفلح ٤١٣/١ .

٥ ـ القلق والاضطراب النفسى :

ذلك أن الشامت بالآخرين قد أتى إثمًا يكون سببًا فى سواد جانب من القلب ويتابع الشماتة فيزيد السواد حتى يغطى القلب فذلك هو الران ويزيد أكثر وأكثر حتى يكون قفل القلب وختمه بخاتم ، وحينئذ يكون القلق والاضطراب النفسى وتشتت الذهن وضياع الذاكرة فى عقوبات أخرى نفسية لا يعلمها إلا الله عز وجل .

٦ ـ ضياع المهمات :

ذلك أن المشغول بالشماتة بالآخرين ينسى الأمور الأساسية والمهمة فى حياته؛ إذ لم يجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه فإذا اشتغل بعيوب غيره علاه العيب من كل ناحية ولم يعد لديه وقت لإصلاح عيبه، والمضى قدمًا إلى الأمام .

ب ـ على العمل الإسلامى :

وكما أن للشماتة آثارًا سيئة : وعواقب خطيرة على العاملين فكذلك لها آثارًا سيئة، وعواقب خطيرة على العمل الإسلامى التى يمكن إجمالها فيما يلى :

١ ـ القطيعة والفرقة :

ذلك أن الآثار والعواقب التى مضى الحديث عنها بالنسبة للعاملين ستثمر لا محالة القطيعة والفرقة، التى هى أخطر ما يصيب العمل الإسلامى ، حيث تمكن الأعداء من رقاب المسلمين وتفتح أمامهم الباب للسيطرة على خيرات بلادهم ، وثرواتها والعمل على تغيير ثقافتهم وقيمهم وآدابهم .

٢ ـ طول الطريق ، وكثرة التكاليف :

ذلك أنه إذا صارت بلاد المسلمين تحت سيطرة أعدائهم فإن هزيمة هؤلاء الأعداء ، وإجلاءهم عن بلاد المسلمين تحتاج إلى زمن طويل مع كثرة التكاليف والتضحيات فى النفس وفى المال بحيث يرحل العدو ، وقد استنزف كل ما لدى المسلمين من خيرات وثروات وترك وراءه ذيولاً وأذنابًا يقومون بمهمته بعد رحيله فيصير غائبًا حاضرًا .

الجانب الرابع : أسباب الوقوع فى الشماتة :

هناك أسباب توقع فى : الشماتة، وبواعث تؤدى إليها، نذكر منها :

١ ـ الأسرة :

ذلك أن الأسرة عليها معوَّل كبير فى تربية أبنائها بالقول والفعل على أن كل ما يقع

فى هذا الوجود إنما هو قضاء الله وقدره إذ يقول سبحانه : ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحديد] .

وعليها أن تربيهم كذلك على أنه لا داعى للفرح لمصائب الناس وبلاياهم بل ينبغى المشاركة لهؤلاء وجدانيًا وسلوكيًا لتتآلف القلوب ، وتتجاذب النفوس ، ويكون تكاتف السواعد، وتشابك الأكف، وتتحقق الوحدة ويوم أن تهمل الأسرة القيام بهذا الدور فيكون سلوك الكبار فيها مبنيًا على الشماتة بالغير ولا تعلم أبناءها المعانى التى سبقت الإشارة إليها ، حينئذ تخرج للمجتمع أناسًا لا همَّ لهم إلا الشماتة بالغير .

٢ ـ الأصدقاء :

ذلك أن شخصية المرء إنما تتشكل من خلال أصدقائه فإن كانوا أخيارًا كانت الشخصية السوية وإن كانوا أشرارًا كانت الشخصية غير السوية وعليه فإذا ما صادق المرء أقوامًا شأنهم الشماتة بما ينزل بالآخرين من شدائد وامتحانات فإن ذلك ينعكس عليه لا سيما إذا كان عوده لم يزل غضًا ، طريًا ، ويصبح ضمن قافلة الباغين للبرءاء العنت ، والعثار للسليم، والشامتين فى عباد الله .

٣ ـ مقابلة السيئة بمثلها :

ذلك أن المرء قد يمتحن لسبب أو لآخر، ويرى الشامتين، وقد علتهم أمارات الشماتة، حيث زالت العداوة من بينهم وكثرت لقاءاتهم وكانت التهانى الواحدة تلو الأخرى، فيضمر ذلك فى نفسه حتى يأتى أمر الله، وينزل بهؤلاء الشامتين مثل ما نزل به أو أشد، فيشمت هو الآخر من باب مقابلة السيئة بمثلها .

إذ يقول الحق سبحانه : ﴿ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة : ١٩٤] . ويقول : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ [الشورى : ٤٠] .

٤ ـ الاستذلال والقهر :

ذلك أن الناس فى هذه الأرض ما بين قوى وضعيف وقد تحمل إمكانات القوى أن يستذل ويقهر الضعفاء وتمضى سنة الله فيسلط الله على هذا القوى من هو أقوى منه فيستذله ويقهره كما استذل الآخرين وقهرهم .

٥ ـ عدم استنكار المجتمع على الشامتين صنيعهم :

ذلك أن المجتمع إذا لم يقم بواجبه نحو الشامتين فيستنكر قبيح صنيعهم هذا، ويعمل على ردعهم ، ولو بالإنكار القلبى المتمثل فى المحاصرة والمقاطعة وتعطيل

المصالح، إذا لم يقم المجتمع بذلك فإن الشامتين قد يظنون أن المجتمع مستحسن عملهم راضٍ عنهم فيتمادون أكثر وأكثر وتشيع الشماتة بين الناس .

٦ ـ عدم ردع ولى الأمر للشامتين :

ذلك أن الله أعطى ولى الأمر من السلطان ما يمكنه من ملاحقة الرذيلة ، والقضاء عليها، أو على الأقل محاصرتها فى دائرة ضيقة للغاية إذ بيده فوق الحدود والقصاص سلطان التعزير يصنع به ما يشاء بما لا يتعارض مع مبادئ الشرع الحنيف وحين لا يتسخدم ولى الأمر سلطانه فى تقويم، وردع الشامتين فإن خطرهم يستشرى وتصبح الشماتة سمة غالبة فى المجتمع .

٧ ـ نسيان العواقب المترتبة على الشماتة :

ذلك أن المرء حين ينسى العواقب المترتبة على الشماتة الفردية والجماعية الدنيوية والأخروية ، فإنه يتورط لا محالة فى هذه الآفة ويبتلى بهذا الداء ويسعى بظلفه إلى حتفه .

٨ ـ إهمال النفس من المراقبة والمحاسبة والمتابعة :

ذلك أن كل إنسان مبتلى بنفسه الأمارة بالسوء وشيطان الجن القاعد له بكل طريق وكذلك شياطين الإنس أعوان شيطان الجن وكذلك الدنيا ببريقها وشدائدها وعليه أن يكون مستيقظًا منتبهًا على الدوام لهؤلاء الأعداء ويحزم أمره على المجاهدة ولئن ضعف واستسلم فعليه أن يعمل على تخليص نفسه ويصلح خطأه ثم يتابع أمره حتى يظل ماضيًا فى الطريق إلى نهايتها دون توان أو انحراف .

وحين يغفو الإنسان وتعتريه الغفلة فإن نفسه الأمارة بالسوء بإيعاز من الشياطين الجنية والإنسية وبإيعاز من الدنيا ستتورط فى كثير من الآفات ومنها آفة الشماتة .

ولعلنا بذلك نفهم السر الذى من أجله دعا رب العزة سبحانه عباده إلى تجديد محاسبة النفس المرة بعد المرة وذلك فى قوله سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ [الحشر : ١٨] .

الجانب الخامس : طريق علاج الشماتة ، والوقاية منها :

إن طريق علاج الشماتة والوقاية منها يمكن تلخيصها فى هذه الخطوات :

١ ـ أن تقوم الأسرة بواجبها التربوى :

ذلك أن الأسرة إذا قامت بواجبها التربوى من تطهير النفس من آفة الشماتة ،

فصارت أسوة كريمة وقدوة طيبة أمام المنتمين إليها، وعملت فى نفس الوقت على توجيه هؤلاء ، وإرشادهم إلى ضرورة التخلص من هذه الآفة، بل عملت على التوجيه إلى التسامح وشكر الله على العافية مما ابتلى به كثيراً من خلقه إذا قامت الأسرة بذلك فإن له دوراً كبيراً فى التخلص من الشماتة .

٢ ـ أن يحتوى أصدقاء الخير الشامتين :

إذ على من ابتلى بهذه الآفة أن ينتزع نفسه من أحضان أصدقاء السوء وأن يرمى بنفسه فى أحضان أصدقاء الخير وعلى أصدقاء الخير أن يكونوا محاضن فى كل حى بل فى كل شارع لاستيعاب واحتواء هذا الصنف وأن يعملوا بما لديهم من برامج ومناشط على استئصال داء الشماتة من نفس صاحبه وأن يغرسوا مكانه العفو والتسامح وشكر الله على السلامة والعافية إنهم حين يصنعون ذلك مع صدق، وإخلاص واتباع للسنة فإن الله يكلل عملهم بالنجاح ويتخلص كل شامت من دائه ويقيه الله الرجوع إليه مرة أخرى .

٣ ـ أن يرغب الشامتون فى رعاية حقوق الأخوة الإسلامية :

ذلك أن الأخوة الإسلامية لها حقوق تتمثل فى كف الأذى باللسان واليد لقوله ﷺ : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده . . »[(١)] .

كما تتمثل فى كظم الغيظ بل العفو ، والصفح الجميل بل صنع المعروف المعبر عنه بالإحسان .

قال تعالى : ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) ﴾ [آل عمران]، وإذا كان الأمر كذلك، فالواجب ترغيب الشامتين فى رعاية هذه الحقوق ومنها أنه لا داعى للشماتة بالغير؛ لأن هذا هو الإيذاء الذى نهى عنه الشارع الحكيم ولا داعى كذلك للخصومة التى انتهت إلى هذه الشماتة، وأحسن من ذلك كظم الغيظ والعفو، والإحسان ليزيد رصيد الحسنات عند الله ويظل هذا الترغيب قائماً المرة تلو المرة حتى تطهر النفوس من الشماتة ثم يغمس هذا الذى طهرت نفسه من الشماتة فى برامج نافعة ومتتابعة بحيث يحاط بسياج من الخير يحول بينه وبين العودة إلى هذه الآفة .

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الإيمان : باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وباب أى الإسلام أفضل ص ٥ رقم ١٠، ١١ وكتاب الرقاق : باب الانتهاء عن المعاصى ص ١١٢٤ رقم ٦٤٨٤، ومسلم فى الصحيح: كتاب الإيمان ١٦١ ـ ١٦٤، وأبو داود فى السنن: كتاب الجهد : باب فى الهجرة هل انقطعت ص ٣٥٩ رقم ٢٤٨١ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وجابر بن عبد الله وأبى موسى الأشعرى ﷺ مرفوعًا به ، وبنحوه .

٤ ـ أن ينبه الناس إلى الرفق فى المعاملة والعدل :

ذلك أن الإنسان لا يستغنى عن التعامل مع غيره حتى قال ابن خلدون « الإنسان مدنى بطبعه » وأحسن شىء يحبب الناس فى بعضهم البعض : الرفق فى المعاملة والعدل .

حتى قال الله عز وجل عن نبيه ﷺ : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨)﴾ [التوبة] . وقال سبحانه : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

وعليه فينبغى أن ينبه الناس إلى الرفق فى المعاملة، والتزام العدل كيلا يفتحوا الباب أمام الشامتين، ويعمقوا الشماتة فى نفوسهم .

٥ ـ أن يواظب الشامتون على محاسبة أنفسهم :

ذلك أن محاسبة المرء نفسه على الدوام تكون سببًا فى تنقية نفسه من العيوب والآفات، وعليه فإن على الشامتين أن يواظبوا على محاسبة أنفسهم وأن يقتلعوا منها هذه الآفة، ثم يشترطون على أنفسهم عدم الرجوع إليها تحت أى من المؤثرات ويتابعونها لحظة بلحظة حتى تبرأ من علتها وتعود إليها العافية من جديد .

٦ ـ أن يقوم المجتمع بواجبه فى مقاومة الشامتين :

ذلك أن المجتمع إذا قام بواجبه فى مقاومة الشامتين بكل ما يستطيع من أساليب ووسائل فإنه قد يحمل هؤلاء الشامتين أن يقلعوا عن هذه الآفة لا سيما إذا وجدوا أنفسهم فى شبه عزلة تامة، وأن مصالحهم قد توقفت أو تعطلت وأن كل واحد فى المجتمع يمقت فعلهم هذا ولا يرضى عنه وهكذا يستطيع المجتمع أن يفعل الكثير والكثير .

٧ ـ أن يقوم ولى الأمر بواجبه فى ردع الشامتين :

ذلك أنه إذا قام ولى الأمر بما منحه الله من إمكانات فى ردع الشامتين تارة بالترغيب، وتارة بالترهيب : يمكن أن يحمل الشامتين على التخلص بما ابتلوا به من هذا الداء وهذه الآفة لا سيما إذا عرفوا أن ولى الأمر يمكنه أن يوقع بهم عقوبات شديدة أقلها: الإقامة الجبرية، ومصادرة الحرية والتشهير والفضيحة .

٨ ـ أن يتحلى المشموت به بالصبر والتقوى :

ذلك أن الشامت إذا أبصر أن شماته لم تنل من المشموت به وأنه استقبل محنته بالصبر والتقوى فكأنه جبل أشم ومما يحمله ذلك على التخلص من مرضه وأن يحرص على وقاية نفسه منه بحيث لا يرجع إليه مرة أخرى يقول الحق سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨) هَا أَنتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١١٩) إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (١٢٠) ﴾ [آل عمران] .

٩ ـ أن يديم النظر فى سير السلف :

ذلك أن سير السلف مليئة بالوقائع والحوادث الدالة على التحرر من الشماتة بل الحزن لما يصيب الناس من شدة، والفرح لما ينزل بهم من النعمة .

أخرج الطبرانى عن ابن بريدة الأسلمى قال : « شتم رجل ابن عباس رضي الله عنهما فقال ابن عباس : إنك لتشتمنى وإن فىَّ ثلاث خصال : إنى لآتى على الآية فى كتاب الله فلوددت أن جميع الناس يعلمون ما أعلم، وإنى لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل فى حكمه فأفرح، ولعلِّى لا أفاضى إليه أبدًا، وإننى لأسمع بالغيث قد أصاب البلد من بلاد المسلمين فأفرح، وما لى به سائمة »[١] .

وعن جبير بن نفير رضي الله عنه قال : « لما فتحت قبرص، فرِّق بين أهلها، فبكى بعضهم إلى بعض ورأيت أبا الدرداء رضي الله عنه جالسًا وحده يبكى فقلت: يا أبا الدرداء ما يبكيك فى يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله ؟ قال: ويحك يا جبير ما أهون الخلق على الله إذا هم تركوا أمره بينا هى أمة قاهرة، ظاهرة لهم الملك تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى»[٢] .

وفى رواية : « فسلط عليهم السباء ، وإذا سلط السباء على قوم ، فليس لله فيهم حاجة »[٣] .

---

(١) الحديث أورده الهيثمى فى : مجمع الزوائد ٩/ ٢٨٤، وعزاه إلى الطبرانى قائلا : « رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح » .

(٢) الحديث أخرجه أبو نعيم فى : حلية الأولياء ١/ ٢١٦ من حديث جبير بن نفير بهذا اللفظ .

(٣) هذه الرواية أخرجه ابن جرير الطبرى فى : تاريخ الملوك والأمم ٣/ ٣١٨ من حديث جبير بن نفير .

١٠ ـ أن يتذكر الشامتون الآثار والعواقب المترتبة على الشماتة :

ذلك أنه إذا لم ينجح كل ما مضى فى اقتلاع هذه الآفة من النفس، فإن على هؤلاء الشامتين أن يتذكروا الآثار والعواقب المترتبة على الشماتة وأثر واحد يكفى لحملهم على التخلص من آفة الشماتة والعزم الأكيد على عدم العودة إليها وإن قطعوا وحرقوا بالنار، فكيف لو كانت عدة آثار منها الفردى والجماعى، ومنها ما يتصل بالأشخاص ، ومنها ما يتصل بالأعمال الصادرة عن هؤلاء الأشخاص ، ومنها ما هو دنيوى ومنها ما هو أخروى ، وهكذا يمكن أن يكون تذكر الآثار والعواقب المترتبة على الشماتة أنجع الدواء وآخر الدواء وصدق الله الذى يقول: ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ ﴾

[الأعلى]